المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 27-02-2008 العـــدد : 14492
الصفحـات : 35 المسلسل : 201

لبنان.. لا حل إلا المبادرة العربية

عادل بن زيد الطريفي

حالياً الموقف العربي لا يزال متمسكاً بالمبادرة، واجتماعات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله إلى الرئيس المصري حسني مبارك - الأحد الماضي -، وكذلك إلى العاهل الأردني الملك عبدالله (اليوم) تؤكد هذا الالتزام، وتحذر من إعادة تفسير المبادرة، أو استغلال القمة القادمة لتكريس الفراغ في لبنان

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 27-02-2008 العـــدد : 14492
الصفحـات : 35 المسلسل : 201

= أنهى الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى زيارته للبنان (الاثنين الماضي) دون نتيجة، ليس فشلاً منه - وهو الذي أرهق طوال الشهرين الماضيين بشأن المبادرة - بل لأن الأكثرية والمعارضة لم تصلا إلى اتفاق بعد. والسؤال المهم هنا: ما العمل؟.. فهل من المعقول أن يظل لبنان طوال هذه المدة بلا رئيس، وأن تقع البلاد رهينة فراغ دستوري وتشريعي إلى أجل غير مسمى!

برأيي، أن الجهود الدولية والإقليمية لإقالة لبنان من عثرته قد استنفدت كلها، وأن البلد - لا سمح الله - إذا انزلق إلى الحرب الأهلية هذه المرة فلا سبيل لإيقافها. تأملوا معي: المعارضة والأكثرية لم تتوان إحداهما عن كيل الاتهامات للأخرى، واعتراض الحلول الدولية والإقليمية طوال المدة الماضية، ومع ذلك فكلا الطرفين يبدي - على الأقل ظاهرياً - حزمه تجاه أي ممارسات عنيفة تصدر عن جمهوره، والسؤال الملح هنا: ما الذي يحدث حين تخرج هذه الجماهير عن السيطرة وتقع حادثة عظيمة بين الطرفين، عندها ستصير هذه القيادات إلى نصرة فريقها تحت مبدأ «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

ما لا يفهمه فريق المعارضة - أو يتجاهله في الحقيقة - أنه لا يمكن إبقاء مصير البلد معلقاً هكذا. ورغم أنني لست أرغب في تصويب أي جهة أو تخطئتها ما دام أن الحوار بين الطرفين لم ينته، إلا أن الواجب تنبيه هذه الأطراف إلى خطورة الوضع، لاسيما حينما تهدّد السفارات الغربية والعربية فتضطر للانعزال، وحين يتم استغلال حادثة مقتل مطلوب دولي متورط بقضايا إرهاب كعماد مغنية لتخويف الأكثرية عبر التهديد بـ«حرب مفتوحة» مع الإسرائيليين.

هل المسألة قضية صفقة مناسبة يرضى عنها الطرفان؟.. قد يكون ذلك صحيحاً فيما مضى أو هكذا توهمنا، أما اليوم فلدي اعتقاد بأن الوضع يراد استمراره على هذه الحالة من قبل السوريين والإيرانيين. لو كانت القضية مسألة توزيع الحقائب الوزارية بين الطرفين، أو الاتفاق على مسمى رئيس معين لكانت الأزمة منتهية منذ وقت طويل، ولكن لا، ما يريده حزب الله - على الخصوص - هو امتلاك مفتاح التعطيل في أي وقت، وهو بالمناسبة لا يطلب شيئاً جديداً، بل استمرار الوضع القائم. فحالياً، تعطل المعارضة ليس الحكومة فقط بل البلد كله، وبإمكان حزب الله إعلان الحرب متى شاء، ولذلك فإن المعارضة عندما تطالب بالثلث زائد واحد لتملك مفتاح التعطيل فهي تريد استمرار الوضع القائم، وتفعيل الجبهة الجنوبية متى ما شاءت.

في كل مرة يزور عمرو موسى لبنان تتحدث بعض التسريبات عن أجواء إيجابية بين الطرفين، ويقال إن فلاناً وفلاناً - من المحسوبين على المعارضة - مستعدان للحل، ولكن لا تمضي عدة ساعات حتى تخرج ذات الأسماء المذكورة وتطلق تصريحات مثبطة للأمل، والأمر لا يحتاج إلى تفسير، فحجم الضغوط - السورية والإيرانية - على هؤلاء واضحة، ويمكن القول إنهم أصبحوا أسرى ومقيدين، وإنهم باتوا لا يعرفون ماذا يخطّط لهم مستقبلاً.

الحل المتوفر حالياً مفصل في المبادرة العربية، ورسالة المعارضة إلى الجامعة، وكذلك ردود المجلس الوزاري العربي لا تحتاج إلى مزيد من الشرح، فصيغة (١٣ للأكثرية، ٧ للرئيس، ١٠ للمعارضة) هي التي ارتضاها غالبية الوزراء العرب منذ عدة أشهر، وكل ما نشهده خلال هذه المدة هو محاولة تفسيرها بشكل سلبي، أو الالتفاف عليها، ولعل آخر هذه المحاولات هو اشتراط المعارضة أن لا يكون لوزراء الرئيس حق التصويت في القضايا الخلافية - كسلاح حزب الله والمحكمة الدولية -.

لدى اعتقاد أن الوضع اللبناني لا يمكن إصلاحه الآن داخلياً، وأن أي تغير على مستوى المواقف الإقليمية سيصب مباشرة إما في صالح إنهاء الأزمة أو تصعيدها. ومع أنني لا أزال متمسكاً بصلاحية المبادرة العربية، إلا أن استمرار هذه الصلاحية سيعتمد بقدر كبير على اجتماع المجلس الوزاري العربي (٤ مارس)، وكذلك على نتائج القمة العربية القادمة في دمشق.

حالياً الموقف العربي لا يزال متمسكاً بالمبادرة، واجتماعات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله إلى الرئيس المصري حسني مبارك - الأحد الماضي -، وكذلك إلى العاهل الأردني الملك عبدالله (اليوم) تؤكد هذا الالتزام، وتحذر من إعادة تفسير المبادرة، أو استغلال القمة القادمة لتكريس الفراغ في لبنان. سوريا بطبيعة الحال ستتحمل عبء نجاح أو فشل القمة القادمة - بل حتى إمكانية انعقادها -، فإذا ما سعت إلى الضغط على حلفائها للقبول بالمبادرة وضمان انتخاب رئيس عشية القمة، فسيصب ذلك بالتأكيد في صالح سوريا، وسيعيد الثقة بين

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 27-02-2008 العـــدد : 14492
الصفحـات : 35 المسلسل : 201

الأطراف. أما إذا استمرت في ذات المسار فإن غالبية الدول العربية لن تكون متحمسة للحضور إلى قمة تساهم فيها عاصمة عربية في زعزعة استقرار جارة لها. قمة الرياض الماضية أعطت الفرصة لهم لتصحيح الأمر، وإعادة التواصل بين الطرفين، ولكن للأسف لم تكن الأقوال مقرونة بأفعال، وهذه المرة لن تضيع هذه الأطراف وقتها أو رصيدها السياسي في وعود غير صادقة.

إذا فشلت المبادرة العربية فسيكون ذلك حدثاً سيئاً للجميع، ولكن على المعارضة - وحلفائها في الخارج - أن يدركوا أن المبادرة تمثل لهم الصفقة الإقليمية الأفضل، وإلا فهناك دول أخرى كأميركا وأوروبا مستعدة لاستصدار قرار جديد من مجلس الأمن يلزم الحكومة بالرجوع إلى البرلمان وانتخاب رئيس بالأكثرية، وعندها لن تتوانى دول عربية كثيرة عن الموافقة على مشروع من هذا النوع لأن وساطتهم قد تم تجاهلها والالتفاف عليها. طبعاً، إيران وسوريا تدركان أن تهديدات كهذه حساسة للغاية، ولكن في المقابل هما تدركان أيضا أن تخفيف الضغوط عليهما مباشرة - سواء في الموضوع النووي إيرانياً، أو المحكمة الدولية سورياً - هو شأن أكثر أهمية من إيجاد رئيس للبنان، ثم تذكروا، أن حزب الله هو دولة داخل الدولة، ويملك من المقومات المادية والعسكرية ما يوازي سلطة الحكومة - غير الشرعية في نظره -، ولهذا فإن استمرار الفراغ الدستوري والتشريعي أمر لا يضره.

لبنان سيستمر ساحة (مستعارة) للسجال بين المحور السوري/الإيراني من جهة والأمريكيين والأوربيين من جهة أخرى إلى أجل غير مسمى، وإذا أردت أن تقيس حالة المنطقة خلال الشهور القادمة فسيكون الوضع اللبناني هو البارومتر الحقيقي للتوتر. كلما أحس الإيرانيون والسوريون بالضغوط الدولية فإن التنفيس سيظهر على الساحة اللبنانية. ولذلك، فإن الخوف الشديد أن يقع لبنان - إن لم يكن هذا قد حدث بالفعل - ضحية تسويات عسكرية قادمة.

المبادرة العربية قد تكون الفرصة الأخيرة لإقناع الأطراف بالحل واختبار نواياهم الحقيقية، وإذا ما فقدت زخمها بعد القمة فسيكون أمام لبنان تسويات إقليمية لا مصلحة له فيها إلا الدمار والحرب الأهلية.

للتواصل: أرسل SMS إلى الرقم 88522 تبدأ بالرمز (224) ثم الرسالة